قرأت العدد الماضي من "آداب"

الأبحاث

بقلم عزيز السيد جاسم

* * *

يتناول الدكتور محمد النويهي ، في القسم الثاني من مقالته (والان ... الى الثورة الفكرية) : الاخلاق وحرية الفكر ، والوطنية وحرية الفكر ،وحريةالفكر وحريةالعمل. حيثيكونالقاسم المشتركفيكلذلك هو حرية الفكر ، وصلاتها ، وانعكاساتها ، وتجسدها في الواقع العملي ، الاخلاقي والوطني والعمل .

ففي (الاخلاق وحرية الفكر) يشرح الكاتب تطور الاخلاق والنظرة الاخلاقية حسب تطور الواقع المادي متوصلا الى استنتاج علمي يؤكد ان القيم الاخلاقية كثيراً ما تتحول الى عائق امام نهوض المجتمع وامام الفكر الثوري فيما اذا بقيت نفسها ، قيم المرحلة السابقة المهيمنة على مرحلة جديدة . يقول الكاتب : (ونفهم بنوع خاص مدى الصراع الذي سيضطر اليه مفكرو امتنا حين يمضون في ثورتهم الفكرية ، فان امامهم ميراثا ثقيلا متراكما مخلطا من القيم الجاهلية ،والقيم الاقطاعية ، والقيم الرأسمالية ، التي تقوم عقبة وعرة دون المجتمع الجديد الذي نريد ان نبنيه ونريد ان نؤسسه على النظام الاشتراكي في شؤون المادة والفكر) .

ثم يضع الكاتب يده على نحو واع على عدم منطقية التصدي للقيم الجديدة في الاخلاق وعدم كبح جماح الرأي الجديد بالاستناد الى منظورات اخلاقية تقليدية . والكاتب بذلك وفي هذا الجزء من مقالته يعتمد الماركسية في التحليل والاستنتاج حيث يؤكد على العلاقةبين (البناء التحتاني) للمجتمع ـ اي اساسه المادي ـ وبين (البناء الفوقاني) . وما الاخلاق الا الجزء الواضح من التركيب الفوقاني الذي ينبغي ان تنسحب عليه التغيرات المادية وتفرض عليه وضعا جديدا . ولكون الامة العربية تجتاز مرحلة جديدة ، فهي غير متمكنة من الاجتياز وتثبيت شروط ومواصفات المعاصرة في تكوينها وتحركها بواسطة ادوات قديمة . فالثورة العربية العصرية تتطلب بالضرورة تثوير القيم الاخلاقية حتى تكون قوة ديناميكية دافعة لا قوة كابحة .

ثم ينتقل الكاتب ليعالج مسألة جديدة هي (الوطنية وحرية الفكر) محاولا تقديم تفسير لمعنى الوطنية وكيف خضع المفهوم لتلاعبات كثيرة الى الحد الذي باتت فيه تهمة (الخيانة الوطنية) توجه ضد (الوطني) . ويطرح الدكتور نوعا مبسطا من النقد الذاتي باعتقاده ان الوطنية الحقيقية لا تعنى بذكر خصالنا بل يجب ان تذكر بدون مواربة نقاط ضعفنا ، (ذلك ان الاعتراف بالنقص هو الخطوة الاولى التي لا بد منها نحو محاولة العلاج . فالمفكر الذي يقبل على سيئاتنا فيشرحها تشريحا تام المصارحة وان الم واوجع ، خير لنا الف مرة من خطيب وشاعر وكاتب يرضي غرورنا ويتملق عواطفنا ..) ، حسبما ذكر الكاتب.

وفي الواقع نستطيع ان نرصد في هذا الجزء من المقالة ميزة الكاتب باهتماماته التبسيطية والعمومية التي تبتعد تدريجيا عن العمق الايديولوجي ، فهو اذ لا يشرح مدلول الوطنية ، وكيف تطور هذا المدلول في العقد السابع من القرن العشرين ، فانه يكتفي بالحديث عن (النقص) او (العلاج) منحولا الى (أخلاقي) وضعي يتعاطف مع : (ذلك الاول هو الصديق الصدوق والناصح الامين مهما تؤلمنا صراحته) ويرفض : (هذا الثاني مهما يشعرنا بالرضى والسعادة والاطمئنان حري به ان يكون عدوا في ثياب صديق ، او هو على اقل تقدير صديق جاهل يسرنا اكثر بكثير مما يضرنا العدو العاقل) .

وما هذه الا انتقالة من العلمية السابقة في (الاخلاق وحرية الفكر) الى الوعظية الاخلاقية والتحليل اللاعلمي بالتركيز على تفسيرات بدائية مسطحة الا مظهر من مظاهر الارتكان الى اخلاقية قديمة سبق ان ادانها الكاتب . فالتحدث عن (الصديق) و (العدو) هو نفسه قول الشاعر القديم (صديقي من يرد الشر عني ويرمي بالعداوة من رماني) . والانشغال باكتشاف (الصديق) و (العدو) ، والعاقل وغير العاقل .. الخ هو مسألة فردية من الممكن ان تجد تفسيرها في الواقع اليومي ، في علاقات الناس الفردية والمحدودة دون ان ترقى الى مستوى التفسير العلمي ، الموضوعي لاحوال المجتمع ، ودون ان تقوى على تقديم اي حل واع للمشكلات الاجتماعية . ففيما اذا توجهنا نحو البحث عن (الصديق) و(العدو) بين العمال والفلاحين لكان هناك فشل كبير في التعبئة الجماهيرية . حيث يتقدم الجانب الاخلاقي الذي سبق ان اشار الكاتب الى تبعيته للجانب المادي ، وتسقط شروط البناء الاجتماعي الثوري المتكئف سياسيا .

وانطلاقا من وعينا لظاهرة ارتداد الكاتب على نفسه في الجزء المتعلق بالوطنية ، فان هذا الارتداد يقوده الى موضوعات اخرى مناهضة لابسط مقومات الفكر الثوري العملي . اذ انه يطرح رأيا فريداً من نوعه بتحميله المثقفين العرب وزر الهزيمة الحزبرانية !. فيقول : (ويؤسفني الان ان اضيف اننا نحن العرب لم نمض في المرحلة التي بدأها ذلك الحديث شوطا طويلا . فان سئلت على من يقع وزر هذا التقصير أجبت بدون تردد : على مثقفينا المنوط بأعناقهم القيام بالثورة الفكرية . فقد كان عليهم ان يتخذوا من ذلك الحديث قدوة صالحة وفرصة ذهبية يستغلونها للتغلغل وراء تلك الاخطاء والنواقص التي لخصها الرئيس جمال عبد الناصر حتى يستكشفوا اسبابها الدفينة في تاريخنا واوضاعنا وعقائدنا وقيمنا وعقدنا النفسية العميقة . ولو فعلوا لربما تجنبنا التردي في هزيمة اشنع ومصاب افدح ، هو حرب الايام الستة في يونيه ١٩٦٧ . بهذا نعود الى ما اثرته في المقالة الاولى من هذه المقالات . ومن كلامي هذا يتجلى للقارىء انني اوقع المسؤولية الاولى في تلك الهزيمة القاسية على كاهل المثقفين العرب) .

ان الكاتب يتناسى شيئا جوهريا ، ولربما لغرض في نفسه ، هو ان سبب الفشل كان بالدرجة الاولى فشل الانظمة السياسية داخليا وخارجيا . فحتى الحكومات العربية الوطنية كانت حكومات غير جماهيرية ، غير ثورية ، غير ديمقراطية . والمثقف ليس مخلوقا الهيا بل هو انسان يتنفس في الاجواء تلك ، فهو نفسه معرض للمضايقة والسجن والتفتيش حتى يمنع عن اداء دوره . ولكن الاساسي هو ان دور المثقف هو جزء من دور الجماهير الكادحة . فامتثال الحكم لارادة العمال والفلاحين هو قوة الحكم . وهو قوة دور المثقف الذي يمارس واجباته من خلال الواجبات النضالية للكادحين .

اما القسم الاخير (حرية الفكر وحرية العمل) فهو لا يخرج عن لغة التخاطب اليومي وموضوعاته . حيث يكتشف الكاتب ما هو مكتشف في شوارعنا ومقاهينا ثم يلجأ الى التعليم ويتحدث بلغة (فان لمجتمعنا علينا ان نطيع نظمه وقوانينه وان نلتزم بممارساته ما دامت مفروضة)

ـ التتمة على الصفحة ـ ٩٤ ـ

القصائد

بقلم خالد علي مصطفى

***

تثير اغلب قصائد العدد الماضي من الآداب ـ عدا شعر القاسم ودرويش ـ سؤالا طالما تردد في الاذهان : هل الشعر هذا هو الذي يمثل الحساسية الجديدة ، والفهم الجديد لمرحلة الصمود ـ الصمود على الامل ! ـ بعد هزيمة حزيران ؟ اذا كان الجواب أن نعم ، فاننا نكون كمن لا ارضا قطع ولا ظهرا أبقى ، ويكون التخلف قد ضرب اطنابه علينا مرتين : مرة لعدم فهمنا لما جد من قيم وملابسات ، ومرة لتعاملنا ، مع الواقع ، بعقلية ما قبل الهزيمة . وليس الشعراء وحدهم هم الذين وقعوا في هذا المنزلق الخطير ، وانما كل النشريات التي تحتضن مثل هذا « الشعر » على صفحاتها ، والذي يعادل في تخلفه وبدائيته وسطحيته تلك العقلية « العثمانية » التي دخلنا بها الحرب ، وخرجنا منها عراة حتى من اللحم ، لتظهر هياكلنا العظمية وقد نخرها السوس. وهنا يصبح الشعراء واقفين ، بكل عريهم المخزي ، على قارعة الطريق يقتنصون الاحداث فقط ليزداد رصيد مناسباتهم الشعرية مناسبة جديدة ، وبعدها يخلدون الى النوم حالمين انهم قد اشعلوا حريقا كاسحا في سيرة الثورة ، ناسين انهم بذلك قد اطفأوا بقية اللهب .

لقد سقطت قصيدة علي فودة « المجد للثوار » في هذه السطحية، وجاءت نداءاتها دغدغة حسية ليست لها القدرة على الفعل . لذلك فلن نقف عندها اكثر من ذلك . ثم ، أين تقف قصيدة علي الجندي « عطشان .. يا صبايا » بهذا الطول المطوط ؟ ان روافدها تستقي من معين الذات المنهزمة التي اضاعت معالم الطريق ، حاجبة عنها الآخرين الا ما جاء فيها من نوسل لهم . ان علي الجندي يضخم صور الذات المحطمة ، ويسقطها على الاشياء من حوله ، وبين التضخم والاسقاط ، تعتري الصورة الشعرية بثور مرضية لا تجد منفذا لها سوى صراخ : اين الماء ، أين الماء ؟

ومن جهة أخرى فان « عطشان .. يا صبايا » تتعامل مع التجربة كمادة خام ، وتتراكم اجزاؤها دون نمو ، لذلك وقعت القصيدة في النثرية والسردية والرتابة بالرغم من بعض صور القصيدة التي احتال الشاعر على مسك زمامها ... كما ان التأكيد على الانفعالات النفسية ، والعواطف المنحسرة ابعد الشاعر عن النظر في تجربته من خلال المواقف الانسانية المعبرة ، واوجد نوعا من التشتت الذي لا تنتظمه رؤيا ذات بعد فكري .. لذلك ظلت القصيدة هشة متورمة ...

اما قصيدة الشاعر حسن فتح الباب « شدوان » ، فانها ظلت محصورة داخل نطاق المناسبة ، ذلك ان اهم ما يفتقده هذا الشاعر تلك القدرة التي تربط الخاص بالعام . والقصائد الوطنية اذا خلت من هذه الخاصة فانها سرعان ما تزول من الاذهان . وقصيدة « شدوان » وقعت في فخ المناسبة القاصرة المحدودة بالرغم من ان الشاعر قد اعتمد طريقة في التعبير يظن انها كفيلة بانقاذ القصيدة : هي ان جعلها على لسان الجزيرة ، وهي حيلة استهلكها الشعراء . هذا فضلا عن ان الشاعر وقع ، ايضا ، سجينا للاستعمالات الجاهزة ، والحماس الطاغي مع انه حاول ان تأتي القصيدة هادئة ، لكن صوره الاعتيادية سيطرت على جزء كبير منها .

وحين نصل الى محمود العتريس في قصيدته : « الاغنية من اجل الفرسان » فاننا نجد فخا جديدا وقع فيه الشاعر ايضا . فقد اراد الشاعر ان يوصل تجربته للقارىء عبر اظهار عجز القلم عن التعبير . والشاعر باعلانه هذه الواجهة، يكون قد اشار مباشرة الى عجز القصيدة نفسها ، ولا عبرة ، بعد ذلك لما يريد ان يقوله ، ما دام قد استنجد باسلوب قديم ردده شعراء الفترة المظلمة اكثر من غيرهم . اما عبارة محمود عتريس الشعرية ، فيبدو لي أنها مستقاة مباشرة من الشاعر ابراهيم ناجي ، بخاصة في استعمال المفردات والايقاع الموسيقي . ان العجز عن توصيل التجربة ، والاتكاء على اسلوب ناجي ، جعلا من القصيدة حلما كاذبا .

وحين يأتي دور بدر توفيق ، فان الناقد يطرح على نفسه هذا السؤال ، رغم قدمه : هل يمكن للشاعر ان يكتب قصيدة جيدة باسلوب نثري ؟ يبدو ان بدر توفيق يحاول اثبات ذلك في كل الشعر الذي كتبه . وهناك بضع ملاحظات يجب ان نضعها امامنا قبل البدء بمعاملة قصيدة بدر توفيق ، وهي :

١ ـ ان العبارة النثرية في الشعر يجب ان تكون « طازجة » ، تحمل نفسها الى الاذن والذهن وكأنها تمر لاول مرة ، ومن غير ان تصطدم بحواجز العبارات النثرية الجاهزة .

٢ ـ ان تكون للعبارة النثرية دلالة تتجاوز معناها المباشر ، كي تنضوي تحت « الكناية الموسعة » ، ومن دون ان تفقد حرارتها .

٣ ـ ان تصبح القصيدة ، بتتابع ابياتها وجملها ، ذات جو خاص ، متنوع يشف عن موسيقى داخلية ايحائية ، تنقل القارىء من تركيبها النثري الى مفزاها الشعري الواسع ، بحركة تتباعد وتقترب ، كما في التاليف السيمفوني .

فهل استطاعت قصيدة بدر توفيق ان تحقق شيئا من هذا ؟

لقد وضع الشاعر لقصيدته ديكورا وزعه في اجزاء متباعدة في القصيدة ، وملأ الفراغات بالسرد وبالصور الوصفية وباطلاق الاحكام . من هنا جاءت القصيدة ذات بناء غير مدروس ، مع ان تجربتها واضحة وصورها جلية : فهي تتحدث عن شيخ مفن اعمى ، هزيل البنية ، ممتلىء بحب مصر ، ومشبع بتاريخها الطويل . اما الجو الذي يربط بين عالم الاعمى الداخلي والعالم الخارجي ، فينبىء عن روحية معذبة مقهورة . ورغم ان هذا الشيخ يوحي بالادانة والبراءة معا ، فان همه الوحيد ان يغني حبه لمصر ولتاريخها الطويل في كل «قلاع الفكر ، وازقة الخصام».

والقصيدة ، بعد ذلك ، تفتقر الى الاقتصاد في العبارة ، كما ان برود العبارة قد جعل اجزاء كثيرة من القصيدة تسقط في شرك النثر الاعتيادي رغم الوزن والقافية . وعندما حاول الشاعر تطعيم عباراته النثرية ، احيانا ، ببعض الاستعارات والتشبيهات ، فان عملية التطعيم هذه لم تنجح في اعلاء شأن القصيدة ، فلم تكن اكثر من بثور طفت على وجهها . ان عبارة الشاعر تختنق احيانا كثيرة تحت ثقل الزيادات التي تلحقها ، فتعطل قدرتها على النفاذ ، وتبتر الكثير من الايحاءات . من هنا تحتاج القصيدة الى تنقية واسعة لتصبح مكثفة . ولو فعل الشاعر ذلك لاعطانا شيئا جديرا بالاعتبار . وهناك نقطة لم استحسنها في موضوع القصيدة ، هي ان الشاعر اكد فيها على اقليمية لا مبرر لها ..

اما قصيدة « حميد سعيد » « بحر الظلمات » فانها تنطلق من جو يختلف تماما عن بقية قصائد العدد الماضي من الآداب .. لقد طفت الذكرى على حميد ، ووجد نفسه امام « لعبة » (١) تتضاءل داخل الذكرى الحارة . بالامس كانت الكلمة تتحول الى فعل ، واليوم ، امام هذه اللعبة ، أخذت الكلمات تزاحم رفوف الكتب في المكتبات ، واقدام المارة في الشوارع دون ان تجد لها سندا . من خلال هذا الجو انبثقت القصيدة ، لذلك يحس الانسان امامها بالحرارة والمرارة معا ، بالكلمة ـ الفعل ، والكلمة ـ القول ، وبين الكلمتين يصبح الماضي مجرد ذكرى ، والحاضر « فراشا ساخنا للمهر .. » ومع صلابة « غرور العابرين » فان ماء « بحر الظلمات » لن يستطيع اطفاء جذوة مستعرة في القاع . ان الذكرى لا ترتبط بهذه اللعبة ، وانما :

... تدفعني الى ايامك الخضراء
اصداء من الاردن

ـ التتمة على الصفحة ـ ٩٥ ـ

١ ـ كتبت القصيدة في المغرب اثناء انعقاد مؤتمر ملوك ورؤساء العرب الاخير في القطر نفسه .

القصص

بقلم عبد الرحمن مجيد الربيعي

***

يضم العدد الماضي من الآداب قصتين عربيتين ، وثالثة من الادب الايطالي ، والقصتان العربيتان تتحدثان عن فلسطين وتثيران موضوعا اصبح طرحه مكرورا ـ لا سيما على صفحات الآداب ـ وهو : كيف يمكن كتابة قصة عربية ملتزمة بقضية فلسطين ولكنها لا تفقد في نفس الوقت اصالتها الفنية واضافاتها الجدية للقصة العربية ؟

وقد يصاب بالخيبة من يقرأ ما ينشر من قصص عن فلسطين فيجد ان العدد الكبير منها هو اشبه بالتحقيقات الصحفية السريعة التي يحشر فيها اسم فلسطين والفدائي باستجواب سطحي غير مؤهل لمد القضية ببعديها الانساني والفني ، وليس فيها غير الانباء (والغاية من الادب ليس توفير الانباء ، ومن أراد ذلك فليلجأ الى الصحف) على حد تعبير احد النقاد . حتى ان حشر اسم فلسطين والفدائي في القصة اصبح جواز مرور لنشر العمل الادبي ولجأ اليه عدد كبير من المبتدئين الذين لم يحلموا حتى بأن ترى كتاباتهم النور على صفحات الصحف المحلية الضيقة الانتشار .

ولا استطيع هنا ان اناقش الاسباب كاملة ، ولكن واحدا منها هو كوننا ما زلنا عاطفيين حتى في نضالنا ، ولا نريد ان نملك تلك المواجهة العنيفة مع البنيان الكامل للمحيط والذات من أجل هدم سدود الحذر والانغلاق التي كبلتنا طويلا .

وفي الادب نسحرنا الكلمة التي تضرب في اعماقنا بحلم وديع ناعم يعلمها الخدر لا الثورة والتخطي .

ان الفدائي مثلا بأطلاقاته قد هدم برود الاغنية الناعمة المستسلمة التي كانت تحلم بفلسطين والبيارات والزيتون حلم الاطفال بالدمى ، وباننا سنعود ، ولكن كيف سنعود ؟ ان الجواب الواضح هو اننا لن نعود على جناح فراشة ، ولكن بثورة مقاتل ملثم انشقت عنه كل الارض العربية ، وكانت اطلاقته الاولى بداية فجر الخلاص .

ولكن من المؤسف ان النقد الادبي العربي حتى الآن لم يستطع القيام بعملية غربلة جريئة لكل ما كتب وما سيكتب وتحديد هوية الادب الثوري وابعاده . وسط هذه الفورة الرهيبة من الكتابات .

ان نظرة واحدة للقصتين العربيتين المنشورتين في عدد الآداب الماضي تؤكد ما دعا اليه بعض النقاد الواعين ولا سيما غائب طعمة فرمان في مقالة له نشرتها الآداب في اعدادها الماضية . ان نكسة حزيران علمتنا ان الخطأ كان موجودا في كل جوانب حياتنا وان الادب الذي يحمل عنصري التغيير والتخطي هو بجانب فلسطين والثورة العربية كلها اكثر من نشيد سلبي تتمتمه شفة لا تعرف الا الكلام حتى ولو لم يكن لكلمتي فلسطين او الفدائي سجل فيه ، ومن هنا فاننا مدعوون جميعا لانقاذ الادب العربي الجديد من حمى التحقيقات الصحفية وضرورة البحث بتعمق ووعي عن العمل القصصي الذي يرقى لمستوى النموذج المطلوب والذي يحمل سمات الخلود والبقاء ، والذي نستطيع به ان نرفع قضيتنا الى مستواها الملائم من وجدان الشعوب ونضالاتها .

وقد تبدو المسألة صعبة جدا ، ولكن من المؤكد ان المسؤولية تتطلب من المعنيين تأدية هذه المهمة على اتم صورة من اجل الوقوف بحزم امام كل التمويهات المائعة ، ولعل التحدث عنها بأسهاب لا يمكن استكماله بعجالة .

((نفق الى النور))

القصة الاولى ((نفق الى النور)) لطارق عون الله وهو كاتب اقرأ له لاول مرة ، والقصة هذه مكتوبة بطريقة مباشرة وصحفية على الرغم من ان كاتبها قد جزأها الى مقاطع متتابعة احدها عن حالة مثول البطل في الفراش مع امرأة واخرى استرجاع لماضي هذا البطل وكيفية خروجه من فلسطين . وبالتالي لا تقدم لنا القصة امتدادا ابعد من احداثها المباشرة ، اذ نخرج منها ونحن نعلم بأن البطل فلسطيني خرج من وطنه وجاء الى أوربا ليطفيء لهيبه بين أفخاذ العاهرات .

ان القصة لا تقدم اكثر من هذا ، وهذه مسألة مكرورة اذ لا يمكن تقديم هذه الافعال والحياة الطويلة ضمن قصة قصيرة تسرد كل الوقائع بمباشرة وسطحية غير متوفر فيها جانب الاختيار الى الفعل الذي تبنى عليه بتركيز وتخثر وترميز .

ان البطل يدعو المرأة بالعاهرة وهي تظن الكلمة مديحا فتضحك لها ، اذ هي ترغب في الخضوع للرجل الذي يطيق ارضاء صرخة جسدها ، وهذه ليست مسألة جديدة في القصة العربية ، وهي وليدة تلك الموجة العارمة التي اكتسحتها في مرحلة الخمسينات اثر اطلاع الشباب العربي لاول مرة على أعمال الوجوديين الفرنسيين . وقد تجلت حالة الاحتدام بالجنس والثورة معا في اعمال مطاع صفدي لا سيما في روايته ((ثائر محترف)) حيث نرى بطلها ثوريا ودون جوانا في نفس الوقت ، ولو حاولنا دراسة سلوكية هذا البطل لوجدناها حالة مرضية ناجمة عن نرجسية قاتمة .

اذ ان الثائر رغم حاجته للجنس فهو لا يجعل منه الغاية وانما يمارسه كحق طبيعي في الحياة تماما كالطعام والهواء ، وتحضرني هنا كلمة للينين (١) لا اتذكر نصها ولكنها تعني ان الثائر ليس دون جوانا ولكنه ليس بعيدا عن ممارسة الجنس عند الحاجة في الوقت نفسه .

واذا كان لهذه الحالة مبرراتها في ((ثائر محترف)) انطلاقا من الزمن الذي كتبت فيه وايديولوجية الكاتب فهي لا تملك مبرراتها ابدا في عمل ادبي جديد ينشد من ورائه مؤلفه تقديم مساهمته في حركة الادب العربي الملتزم .

اما لغة القصة فهي صحفية وسريعة كما أسلفت ، وفي الحوار لم يقم الكاتب بعملية تنقية وشذب فجاء اشبه بالتسجيل السريع الذي يحيل المعنى الى استجواب مكرور ليست فيه حرارة وضع البطل المنفي عن ارضه ووطنه ، حيث جاء هذا الحوار معلنا عن سلبية البطل واظهره مجرد هارب يتسكع ، يريد وأد ايامه بمعاشرة البغايا واطلاق المداعبات البائخة ، وها هو البطل يجسد هذه السلبية بعد مغادرته غرفة البغي التي كان معها حيث يصفه الكاتب : (قبلها وخرج من البيت ، وحمله الشارع الطويل ، الى لا مكان ، وبدأت تحمله الشوارع الاخرى ، وتقذفه ، كان يسرع في مشيته ، ثم اصبح يمشي ببطء ، ثم وجد نفسه يزحف ، ويزحف ، الى اين ؟ الى اين يمشي ؟) .

ان قصة ((نفق الى النور)) من وجهة نظري هي النموذج الذي يجسد كل السرعة والافتعال في القصة العربية التي تتحدث عن اعظم قضية تواجه المواطنين العرب لا المثقفين وحدهم بسطحية ساذجة ، وتضعنا امام مهمة واحدة هي ان نتعامل بحذر مع القصص التي تتحدث عن فلسطين ، وان لا ندفع للنشر بأية قصة لمجرد انها تحمل اسم فلسطين لان هذا من شأنه أن يخلق مدا طائشا يسيء الى القضية اكثر من كونه بجانبها . ويضعنا امام تساؤل صعب حول الشعور بمسؤولية العمل وفداحة الكتابة عن فلسطين بطريقة تلائم مستواها الوجداني ، انها لمسألة رهيبة جدا تحتاج الى مليون نقطة توقف قبل الولوج الى اعماقها .

((الحلبة والمرآة))

القصة العربية الثانية لمحمد الحسناوي وعنوانها ((الحلبة والمرآة)) .

ـ التتمة على الصفحة ـ ٩٥ ـ

١ ـ انظر الاشتراكية والمرأة ـ دار الآداب ـ ترجمة جورج طرابيشي .

تتمة الابحـاث

***

وتتكرر (علينا) اكثر من خمس مرات في عدة سطور !
أين هذه الوعظية من الرؤية السابقة في الاخلاق ؟!

ولما كان محتما ان يضطرب الكاتب باضطراب رؤيته فانه يعود من جديد ، وبعد تعرجات كثيرة ، لطرق موضوع (المجتمع المثالي) مما يدلل على فقدان العلمية في كتابته والانطلاق من مفهومات مثالية تتركز حول تحقيق هذا المجتمع المثالي بوسائل اخلاقية . اذ نحن بحاجة الى (أصول) مرعية واخلاقيين وبعد ذلك ينتهي كل شيء .

اما تبرير الثورة عند الكاتب فهو ان الثورة (الطريقة الوحيدة التي يجدها المفكرون ذوو الضمائر الحية والوعي اليقظ حين يهولهم سوء الاحوال ويرون بثاقب نظرتهم الكارثة) وهكذا نضيع بقدرة قادر شروط الثورة . التناقض بين القوى المنتجة وعلاقات الانتاج . دور الجماهير الاساسي . دور التنظيمات السياسية الطليعية .. الخ .

ويبرز الكاتب دور (ذوي الضمائر الحية) فكأن لدينا (مصالحة) او (دعوة خير فبلية) . وهو بذلك يشكل امتدادا ضعيفا للمثاليين ، الذانيين الذي يعظمون دور الفرد في التاريخ ، ويغيرون المجتمع بالاخلاق ويتبنون دعوات اصلاحية . وانا اسأل الكاتب : هل غير (الكندي) او (ابن خلدون) او (طه حسين) او (قاسم امين) المجتمع بواسطة الثورة ؟!

لعل نقطة مهمة اثارها الكاتب وهي انتباهة واعية جدا نرى من الضروري ذكرها : (بل الظاهرة العجيبة المحزنة ان هذه الانظمة الثورية قد تكون اكثر حساسية تجاه التهم الدينية والخلقية والقومية من الانظمة الرجعية ، وكأنها تدفع ضريبة تحررها السياسي والعسكري والاقتصادي بتضييق زائد على مفكريها في شؤون الفكر الديني والاخلاقي والوطني) .

((نقد الفكر الديني)) بقلم عبد الجليل حسن

ان كتاب ((نقد الفكر الديني)) الذي الفه الدكتور صادق جلال العظم اثار عدة جبهات ، لعل اهمها : جبهة انصار الدين الذين وجدوا فيه الحادا ومروقا عن الدين . وجبهة الثوريين الملتزمين الذين يعتقدون ان ما خلفه الكتاب من ضجة ليس في صالح اية قضية ثورية جماهيرية . وجبهة الابسورديين اللامنتمين الذين يطرحون آراءهم دونما اكتراث لطبيعة الظرف الذي تجتازه الامة العربية ، ولا لدرجة وعي الجماهير .

والكاتب عبد الجليل حسن يتحرك من الموقع الذي اراده لنفسه ، موقع الثوري الملتزم . وهو بذلك يتطرق الى مسائل مهمة . فما الذي قدمه الكتاب من اجل الثورة العربية ؟ ولكن الكاتب ينسى شيئا جوهريا وهو ان العظم وقع من حيث لا يدرك ، وهو المادي العلمي ، في التفسير الميثولوجي للتاريخ . فاذا كان الاسلام سبب فشل العرب فهل ان اليهودية هي سبب فشل لاسرائيل ؟ واذا كانت اسرائيل قد حققت انتصارها في هزيمة ٥ حزيران ، فهل ان الديانة اليهودية هي سبب الانتصار ؟

اما بالنسبة لدعوى الكاتب عبد الجليل حول (الطفولة اليسارية) عند العظم ، فهي دعوى غير صحيحة . لان الموقف ازاء الدين هو موقف مادي اختاره العظم ، وهو بذلك لم ينحرف ولا يمكن ادانة مسائله (الطفولية اليسارية) حسب دعوى عبدالجليل حسن ادانة مبدأية، لان الادانة تكتيكية فقط . لان الثوري الملتزم يغدر وعي الجماهير ولا يفجأها او يتصادم معها بعنف تترتب عليه نتائج خطيرة . بل يجب ان يعمل على رفع درجة هذا الوعي بواسطة التعامل الثوري الصادق والمخلص معها .

ومع كل النقاط التي اثارها عبد الجليل وهي صحيحة غالبا ـ وليس كلا ـ فان المقالة تظل نوعا من المطالعة السياسية لا علاقة لها بجوهر الاثارة حول الدين والتي يقدمها العظم .

تجديد في مفهوم العروبة بقلم اسماعيل الملحم

لعل اغرب مقالة يقرأها شخص هي مقالة (التجديد !) هذه . حيث ان التجديد لا يوصل الا الى نتيجة واحدة هي نفي الاممية . وكأن الحديث عن الاممية هو من معطيات الفكر الاوروبي . وحيث لا يقدر شخص على نفي الاممية بقطعية كاملة الا اذا كان عالما بالغيب فأن الكاتب الملحم يدخل العالم بآيات خاصة . وهو لذلك منذ البدء يهاجم المفهوم القومي للقومية ، والمفهوم الآخر ، الماركسي ، للقومية . متعاطفا مع ماركسية خاصة يفهمها هو ومعترضا على الماركسية عند الآخرين . ان المفهوم القومي للامة تطور تطورا عصريا اشتراكيا . كما ان المفهوم الماركسي عن الامة اخذ بعده ومدلوله الواقعي القومي . وهاتان الاطروحتان فاتتا الكاتب الى الحد الذي تصور فيه ان الدنيا جامدة وهو وحده المتحرك حتى تهيأ له الادعاء بالتجديد . ان مطالعة المقال لا تسعف القارىء بشيء لانها ليست بحثا علميا . كما ان الموضوعية تتحول الى اوصال لقفز الكاتب وتسرعه وعدم تفوره في عمق المسألة .

الاحزاب السياسية الإسرائيلية بقلم الدكتور اياد القزاز

انها دراسة جيدة تقدم للقارىء العربي معلومات لا غنى له عنها في معركة المصير . ولعل هذه الدراسة كان من الممكن لها ان تكون اكثر جدوى لو انها توسعت بعض الشيء وتخلت عن التحديد الذي فرضته على نفسها .

تولستوي وتصوير العالم الداخلي للانسان

قدمت الدكتورة حياة شرارة دراسة معمقة تدخل ضمن امكانية منتظرة لكتابة تفصيل حقيقي عن حياة وفكر تولستوي ، هذا العالم الكبير المحتوي على مشاعر كونية متداخلة .

والدكتورة حياة ، تحاول في هذه الدراسة تقديم الاستكشافات التولستوية للحياة الداخلية للانسان الفرد . والادوات المهيأة لهذا الفرض الاستكشافي عند تولستوي ليست مباشرة او سطحية او مبتورة. انها ادوات مهمة قادرة على سبر اغوار الاعماق الانسانية ورصد الاحاسيس .

فالبطل يتعرى بواسطة الكاتب عن طريق (المونولوج) الداخلي الذي يعكس الماهية الداخلية ، او عن طريق (الصورة) الفنية او الاحلام او الطبيعة كما اوضحت الكاتبة بحق . وتقدم بذلك نماذج تأييدية من روايات تولستوي ، لتدعم القدرة التحليلية الوجودية عند الروائي الكبير الذي امتاز باهتمام سايكولوجي عجيب في كشف دخيلة الانسان الفرد .

بغداد — عزيز السيد جاسم

لجميع مطبوعاتكم :

دار الفد
للطباعة والنشر

بيروت ـ تلفون : ٢٣٠٥١٢

تتمة القصائد

***

تقرب بيننا الاسباب ، اعصابي تباشير
وقلبي راية بيضاء ...

ان الشاعر حميد سعيد ، في افضل شعره ، يستلهم رؤيا النضال ليرسم صورة جديدة للثورة . وتتضافر عند حميد ، في شعره ، شتى المعطيات التاريخية والوجدانية في بؤرة ساطعة تدل على هذه الثورة .. هنا يكون الواقع ارهاصا بالمستقبل ، والوجدان تجسيدا له . لذلك تأتي قصائد حميد حادة ، غاضبة ، دون ان يتوقف الزمن عند مرحلة معينة ، بل يظل مستمرا حتى بعد انتهاء القصيدة ، من خلال التناقض بين الذكرى والتطلع . فقصيدة حميد ، اذن ، واعية لذاتها ، قابضة على زمام الموقف ، علما بأن قصيدته هذه لا تمثل أفضل شعره ولا اروعه ..

والآن نرجع الى قصائد سميح القاسم ومحمود درويش ...

ان قصيدة سميح القاسم ادل من قصائد محمود درويش الاربع على روح المقاومة ، كما ان قصائد درويش ادل من قصيدة القاسم على القدرة الشاعرية . هذه الملاحظة المبدأية تضعنا امام سؤال مهم : هل نستطيع ان نعتبر هذه القصائد نماذج لشعر المقاومة في فلسطين المحتلة ؟..

ان قصيدة سميح القاسم « ما تيسر من سورة السلاسل » مكتوبة على لسان سجين . ـ وهو اسلوب طالما اتخذه شعراء الارض المحتلة ـ والقصيدة موزعة على مقاطع ، كل مقطع فيها ، كما يبدو ، مستقل عن الآخر ، لا يجمعها الا الجو العام والوزن . واكبر ظني ان سميح القاسم عندما كتب قصيدته هذه كانت في ذهنه قصيدة محمود درويش « رباعيات » التي اهداها الى فدوى طوقان ... لذلك ظهرت على هذه القصيدة تأثيرات محمود درويش ... في انسياب اللغة ، وطغيان العاطفة الصوفية المتفائلة ، ولدانة الصورة ، وتأثيرها المباشر ... وهي السمات التي يشترك بها جميع شعراء الارض المحتلة ...

ان الهدوء في قصيدة القاسم لا ينفي الغضب ، والغناء متجانس مع الثورة ، كما أن صور الطبيعة تأخذ مكانها في مقاطع القصيدة ـ وان كانت قليلة ـ متحدة في التجربة ... اما الجرأة في شعر سميح ، فهو عدم التحرج من اي استعمال ، حتى ولو كان عاديا ، اذا كان ذلك طريقا للوصول الى الهدف ، لذلك نحس احيانا ان التقريرية والمباشرة نجدان لهما مكانا في قصائده . وليست مقاطع هذه القصيدة استثناء ...

اما قصائد محمود درويش ، فهي محيرة نوعا ما ، لا في قدرتها على الايحاء ، بل في ما توحي به .. فانت تحس نوعا من الظمأ يطبع القصائد الاربع ويشدها في تجربة تكاد تكون واحدة ، ورغم الانسيابية في شعر محمود درويش ، فان قصائده هذه اكثر تكثيفا من قصيدة سميح القاسم ، واعمق تأثيرا ، ذلك انها تطبع في ذهن القارىء ازمة نفسية خاصة تتحدد بهذا النوع من الضياع الذي ما ني يبحث عن نبع يستريح عنده ... ولا ادري ان كان هناك في شعر درويش مثل هذه التجربة التي ربما تضعه امام منعطف جديد . من هنا جاء تعبيره غائما رغم شفافيته ، يعتمد على التداعي والانتقالات الفجائية المعبرة ، والصور الخاطفة المكتنزة بشتى الايحاءات ...

ان القضية لدى درويش في هذه القصائد تتجسد بالذات المهمومة اكثر مما تظهر في الواقع باستثناء قصيدة « ويسدل الستار » والتي تقيم بين الذات والآخرين حوارا نستشف منه هذه الازمة النفسية أيضا ، ولكن بطريق اقرب ، في ميزاته ، الى قصائده السابقة .

ان هذا الارتداد الى الذات في قصائد درويش هذه تجعلنا نعتقد ان الشاعر اقرب الى الصدق في معاناته ذلك ان ما يكشفه محمود درويش هنا ـ يمثل خصوصية نظل سمة بارزة في شعره ـ ... من هنا كان الكثير من شعر المقاومة ظلا لشعر درويش والذي ، كما يبدو ، اصبح النموذج الذي يطمح اليه شعراؤنا في الارض المحتلة ...

ان المقاومة عند درويش ، هي في هذا الكشف المتواصل لنفسية الانسان العربي المحاصر ، بينما عند القاسم تجسيد للصراع ، من هنا تكون نغمة كل شاعر مكملة للاخرى ومنسجمة معها في ايقاع من السمو والمهابة والبساطة ....

اما شعراء العدد الماضي من الآداب فكانوا دون ذلك اشواطا .

بغداد — خالد علي مصطفى

***

تتمة القصص

واذا كانت القصة الاولى تدفع بنا الى التساؤل عن كيفية كتابة قصة ثورية ، فأن هذه القصة تدفع بنا الى التساؤل عن كيفية كتابة قصة جديدة ؟

ان التجديد في الادب مسألة بديهية وصنو الديالكتيك الذي يسير الاشياء . ومن حق آي كاتب ان يقدم اجتهاده الخاص من اجل اغناء تجربة القصة العربية الجديدة بمحاولاته ، ولكن من المؤسف ان العديد من القصص التي كتبت على أساس انها جديدة نجد انها ليست جديدة في الواقع ، اذ ان الجدة ليست في تقطيع القصة وتقديم كلمات وحالات غريبة متناقضة ليس لبعضها مشروعية الانتماء الى الآخر وتكديسها في عمل ادبي نسميه قصة بعد ذلك . وقد شهدت السنوات الاخيرة او ما نسميها في العراق بمرحلة الستينات فوضى كاملة في الاشكال ليس فيها غير الغرابة دون ان تملك هذه الغرابة مبرراتها وهويتها ، ولهذا لم تنجب هذه المرحلة اصواتا خاصة وواضحة وادغم بعضها في البعض الآخر ، وليست هذه الظاهرة في القصة فقط بل وفي الشعر ايضا .

وتشكل قصة « الحلبة والمرآة » لمحمد الحسناوي نموذجا من اللعب الجديد باسم التجديد . اذ انه يقدم عدة مقاطع قصيرة ومتناقضة فيها حديث عن الثيران ، ومحمد علي كلاي ، وهوية رجل (ممتلكاته حفنة نجوم ونصف دورة شمس) و (وصيته : لا شيء) ، وعن جان بول سارتر ومنظمة فتح ، وموظفي البريد ... الخ . وبالتالي لا نخرج من القصة بشيء ، ولا ندري ماذا اراد المؤلف ان يقول ، انها خدعة للنفس اولا وللقارىء ثانيا ، ويبدو ان كاتبها قد استسهل الامر للدرجة التي تصور فيها انه يطيق ان يمازحنا بلعبة لفظية ويكتب عليها قصة ونصدق انها كذلك ، وان كانت المسألة هكذا برصف الوقائع المتناثرة الخالية من المسؤولية والمعاناة فأن بأمكان أي واحد يعرف القراءة والكتابة ان يكون قاصا .

ان التجديد يأتي من كونه حاجة بالنسبة للمؤلف وليس تقليعة او موضة ـ كما يفعل العديد من الفنانين التشكيليين الذين لا يعرفون ابسط قواعد الفن الاكاديمي الرصين ـ .

ان التجديد يجب ان يكون مصحوبا بعملية ممارسة رقابة صارمة مع الكاتب وعمله ، حتى لا يصبح هذا العمل سائبا وغير مسؤول ومجرد فورة مؤقتة سرعان ما تهمد ولن يكتب لها البقاء .

وليس لهذا التجديد حدوده ، انه تابع لمدى ادراك الكاتب ووعيه، وقد رأينا كيف استطاع فاص شاب ان يقفز الى الصفوف الاولى بين كتاب القصة العربية دون ان يلجأ الى اية لعبة زائفة بل أفاد في ذلك من اللغة والاجواء العربية والاسلامية القديمة الا وهو الكاتب المصري جمال الغيطاني .

ولكن كاتبا اخر من سورياهو حيدر حيدر استطاع ان يقدم المسألة من جانب آخر اعتمد فيه المؤلف على احياء بعض مفردات اللغة واعطائها الديناميكية الجديدة التي تلائم هموم الانسان العربي الجديد المولود من وسط الهموم والنكبات . وهكذا .ان العديد من الاعمال الادبية العربية الجديدة تنقصها المسؤولية ، وقد وقع بعض كتابنا الشباب

تحت طائلة اللامسؤولية فداروا في دروب مغلقة ، ومن المؤسف انهم ما زالوا يركبون رؤوسهم مواصلين تأدية لعبة الحواة . طافين على امواج كذبة كبيرة لا يدركون الى اية مهاو ستقودهم . ولكن قسما آخر من كتابنا الشباب استطاع ادراك فداحة المسؤولية فعمل على تأصيل وجهه في محاولة منه لان يؤكد على عنصر المسؤولية المطلوبة لاي عمل ادبي يكتبه في هذه المرحلة الخطيرة من تاريخنا القومي .

« الرسل السبعه »

القصة الثالثة في عدد الاداب الماضي للكاتب الايطالي « دينو بوتساتي » وهو أحد الروائيين المهمين في ايطاليا ، وقد نقلها الى العربية الاستاذ نبيل مهايني الذي عرفنا بالعديد من جوانب الحركة الادبية في ايطاليا من خلال رسائله للاداب .

ولا اريد هنا ان اعطي رأيي بهذه القصة فهذا كبير جدا ، ولكن من الواضح ان الكاتب قد لجأ الى اجواء غير معاصرة من اجل تقديم معاناة معاصرة في قصته هذه ، ولست مطلعا على اعماله حتى أعرف خطه الفكري والفني ، ولكن من الملاحظ كذلك ان ازمة الانسان الفرد ورعبه امام الحضارة العارمة التي تحرك أعماله . وان ترجمة اي عمل ادبي الى اللغة العربية يجب ان تسبقه عملية اختيار ذكية فما زالت الترجمة بالنسبة للاجيال الادبية الصاعدة ، وهذه القصة بالذات التي اختارها الاستاذ مهايني تحمل معها مبررات العمل الجديد الذي يشع بعضويته وسهولته وبالتالي يقدم ذلك الدفق المعنوي الذي لا يتيه وسط قرقعة الالفاظ وايقاعات الجمل .

ان قصة بوتساتي هذه تتميز بذلك التركيز والحذق والتماسك وعدم الانجراف وراء انشاء اللغة .

وهذا التكثيف ناجم من طبيعة فهم الحدث واستيعابه ومحاولة تسخيره من أجل تقديم موقف فكري معين من خلاله . حيث نجد ان البطل منادى بتلك الصرخة القديمة التي لا تسمح له بالمكوث على كرسي واحد أو المراوحة امام عتبات مدينة معينة ، ولكن كل المغامرة تتبدد عندما يحس المرء بانه يدور حول نفسه وان الدروب موصدة والسنين تطارده من أجل غرس خنجرها الاخير في صدره . وبهذا يصبح كل شيء باطلا وقبض الريح ـ كما تقول الصرخة القديمة ـ وهذا الموقف اليائس هو وليد الواقع الرأسمالي الثقيل الذي يسحق القسم الكبير من الشعوب . وهو ترديد صادق لهذا الواقع من جانب القاص الذي ينوء برعبه ووحدته وموته . وهكذا لم يفلح البطل ان يجد الخلاص حتى في الرحيل ما دام يحمل معه صليب العذاب الذي سيبدد كل افراحه امام آهة واحدة يطلقها المرء وهو يتأمل وجهه في المرآة ويراه وقد سرقته السنون وتركته كقناع مفزع رهيب .

بغداد — **عبدالرحمن مجيد الربيعي**

عدد « الآداب » الممتاز

كانت « الآداب » قد اعلنت من قبل ان عددها الممتاز في موضوع « نحو ثورة ثقافة عربية » سيصدر في مطلع نيسان ١٩٧٠ . ولكن بسبب تأخر وصول بعض المواد المخصصة لهذا العدد ، اضطرت الادارة الى ارجاء صدور عدد الآداب هذا الى اول الشهر القادم . فالمعذرة من القراء .

« الآداب »

اللامنتمي

دراسة تحليلية لأمراض البشر النفسية في القرن العشرين

و

ما بعد اللامنتمي

«فلسفة المستقبل»

أشهر واعمق كتابين للكاتب الانكليزي المشهور

كولن ويلسون

صدرا في طبعتين جديدتين انيقتين

منشورات دار الآداب